العرب
الإثنين 2021/03/01
السنة 43 العدد 11986

كيف بدأ «محور المقاومة» في التآكل؟

مخيّم اليرموك يروي قصة فقدان أطراف المحور لمصداقيتها بسبب التماهي مع ضرورات الواقع

لا يكف ما يسمى بـ"محور المقاومة"، الذي تقوده إيران من التباهي في كل مرة بقدرته على الصمود في الشرق الأوسط بوجه الولايات المتحدة، لكن يبدو أن ثمة قصصا ترويها مدن تشكل نقاط تماس مع إسرائيل في المنطقة، على أن هذا المحور يتآكل وبات يفقد قوة الدفع. ويقول محللون إن قوى المقاومة إما تدعم قسوة الأنظمة كما هو الحال في سوريا وإما تدعم من هم ضده، ثم تغير رأيها ما أفرز تذبذبا لا أخلاقيا أفقدها المصداقية، وباتت لا تستطيع أن تشرح ما هي المقاومة.

واشنطن - وُصفت اليرموك ذات مرة بأنها "عاصمة الشتات الفلسطيني"، وكانت من بين أكثر المناطق استهدافا في الصراع السوري، رغم أن مخيم اللاجئين في دمشق الذي كان يقطنه 160 ألف فلسطيني-سوري قبل الحرب، في حالة خراب وهو شبه فارغ.

وحرم تدمير المخيم، الذي يُنظر إليه على أنه رمز للمقاومة الفلسطينية لإسرائيل خارج الأراضي المحتلة، الفلسطينيين من منازلهم وأملهم. ومع ذلك، يروي تدمير اليرموك قصة تفكك محور إيران لمقاومة إسرائيل، بعد أن ضم حزب الله اللبناني وحركة حماس الفلسطينية ونظام بشار الأسد.

أنشال فوهرا

حين تجاهلت حماس دعوات نظام الأسد تفككت المقاومة

وتتبادل أطراف "محور المقاومة" الأدوار تحت مظلة النظام الإيراني، الذي يدير سياساته، ويحدّد لكل طرف مهمّته فيه بإشراف مباشر من الحرس الثوري التابع لسلطة المرشد علي خامنئي.

تآكل قوة المقاومة

تشير أنشال فوهرا الباحثة المختصة في شؤون الشرق الأوسط، في تقرير لها بمجلة "فورين بوليسي" الأميركية، إلى أنه حين تجاهلت حركة حماس الإسلامية دعوات الأسد ودعمت المتمردين في الصراع السوري، تفككت المقاومة. وقد أدى ذلك إلى إضعاف موقف طهران في المنطقة، والحد من نفوذها في المحادثات المستقبلية المحتملة مع الولايات المتحدة.

قدّمت إيران ذات الأغلبية الشيعية نفسها منذ العام 1979 كناصر للقضية الفلسطينية، بهدف بث مصداقيتها كقوة إسلامية غير طائفية تستحق قيادة عالم إسلامي يهيمن عليه السنة. ولا يزال تحالفها مع حماس السنية مهمّا في روايتها. وقد انطلقت في إعادة بناء محورها في 2017، عندما فتح تغيير في قيادة حماس الباب أمام محادثات المصالحة.

وكلف النظام الإيراني ذراعه حزب الله بترميم العلاقة بين حماس والنظام السوري، وعقد سلسلة من الاجتماعات لرأب الصدع بين الحلفاء السابقين. ومع ذلك، يشك النشطاء الفلسطينيون في سوريا في أن الأسد لن يوافق على المصالحة مع حماس.

ويشير البعض إلى الوساطة الروسية المحتملة بين سوريا وإسرائيل، كسبيل لإعادة تقويم تلك العلاقة العدائية المفترضة بدلا من هذه المصالحة.

ويخشى معظم أهالي مخيم اليرموك، الذين أرادوا رؤية فلسطين حرة وسوريا خالية من القمع، من أن النظام لا ينوي إعادة تأهيلهم، وأنه تعمد وضع العراقيل في طريق عودتهم.

وإحدى هؤلاء أم رضوان، التي كانت رضيعة عندما أجبرت عائلتها على الفرار من فلسطين مع بداية الحرب مع إسرائيل في عام 1948، بحثا عن ملجأ، لتصبح اليرموك موطنها، لكن قصف النظام للحي الذي تعيش فيه في معاركه مع جماعات من بينهم فلسطينيون مناهضون لنظام الأسد وتنظيم داعش المتطرف، غيّر معالمه.

ومرت ثلاث سنوات منذ استعادة النظام لليرموك، لكنه لم يُزل الأنقاض داخل المباني، التي دمر 60 في المئة منها في القصف. ووفقا لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، وافق النظام على عودة 604 أسرة اعتبارا من الشهر الماضي.

ويقول نشطاء فلسطينيون إن هؤلاء هم عائلات أولئك الذين دعموا النظام، وليس الذين عارضوه أو بقوا على الحياد، وهم يتهمون النظام بتعمد السماح للثوار بالسيطرة على اليرموك بقصد عزلهم وقصف المخيم، ثم سرقة ممتلكات سكانه الأصليين بعد الحرب.

ويؤكد العديد من الفلسطينيين السوريين الذين كانوا يعيشون في المخيم، أن نظام الأسد يريد عودة المؤيدين، ولا أحد غيرهم.

وطالب النظام السكان بتقديم وثائق أصلية تثبت ملكيتهم، والتي ربما فقدها الكثيرون في فوضى الحرب، وتصاريح أمنية من أجهزة المخابرات، حتى يتمكن النظام من فحص ولاءاتهم السابقة. وقد تفقد عائلات أخرى منازلها إذا كانت على الشوارع التي تم تخصيصها لإعادة التطوير.

انقسامات عميقة

رغم أن الفلسطينيين السوريين أرادوا وضع حد للفساد وأملوا في حياة أفضل، وشاركوا في الاحتجاجات، إلا أن بعض الجماعات حافظت على الحياد في النزاع. ومع ذلك، جذب اليرموك الانتباه عندما وفر الملاذ للنازحين داخليا من أماكن أخرى بالبلاد، وقدم الدعم اللوجستي والخدمات الإنسانية لمعارضي الجيش السوري الحر.

ولم يُتح للسوريين الفلسطينيين البقاء خارج الصراع الذي كان يدور حولهم لفترة طويلة. وبينما دعم البعض النظام، دعمت حماس الفرع الفلسطيني للإخوان المسلمين، المتمردين، ويقاتل أعضاؤها السوريون نظام الأسد الآن.

وفي 2012، استلهمت حماس من نجاح الإخوان المسلمين في تعيين محمد مرسي رئيسا لمصر، وكانت تأمل في الاستفادة من انتصار المنظمة الأم بالوقوف إلى جانبها في ساحة المعركة السورية.

وغادر قادة حماس دمشق إلى قطر، التي تعدّ راعية الإخوان المسلمين، وشكل مقاتلوها المشقوون أكناف بيت المقدس، التي دربت المتمردين السوريين على بناء الأنفاق وصنع الصواريخ. وقاتلوا إلى جانب المتمردين ضد النظام في اليرموك وحتى ضد حليفهم القديم حزب الله في بلدة القصير السورية، بالقرب من الحدود اللبنانية.

واتهم الأسد حماس بدعم فرع القاعدة السوري، الذي كان يُدعى "جبهة النصرة"، وانتقدها حزب الله لاستخدامها تكنولوجيا الأنفاق الإيرانية ضد "محور المقاومة"، لكن سرعان ما خسرت الحركة المقامرة، وشهدت الإطاحة بمرسي في انقلاب في يوليو 2013، وهزمهم الأسد وحلفاؤه الروس في سوريا.

وتقول فوهرا، وهي مراسلة "غورين بوليسي" من بيروت، "إن احتجاجات الفلسطينيين ورفض حماس للأسد كلف المجتمع غاليا، فقد سجنت أجهزة مخابرات الأسد الآلاف من الفلسطينيين، الذين اشتبهت في تعاطفهم مع المتمردين السوريين، أو أولئك الذين دافعوا بأي شكل من الأشكال عن الإسلام السياسي، حيث اعتبرهم النظام تهديدا، وخاصة أبناء اليرموك".

ويروي أحد النشطاء الذين انتقلوا إلى المملكة المتحدة، متحدثا إلى "فورين بوليسي" شرط عدم الكشف عن هويته، أنه سمع بالقبض على زملائه الفلسطينيين السوريين من اليرموك. وقال إن "الأسد اعتبر رفض حماس دعمه طعنة في ظهره ونظر إلى أبناء المجتمع على أنهم ضيوف غير مرغوب فيهم. لذلك، كان الانتقام متشددا، إذ لم يقتصر الأمر على مخيم واحد، فقد طاردوا الفلسطينيين في كل مكان".

ويكاد الرئيس التنفيذي لمجموعة العمل من أجل فلسطيني سوريا ومقرها بريطانيا أحمد حسين، يجزم بأن أي شخص لم يدعم النظام عوقب. وقال "عاقب النظام حماس وكوادرها لموقفها منه. وبالنسبة لمعاقبة الفلسطينيين كمجتمع، أود أن أقول إن كل فرد فلسطيني لم يقف إلى جانب النظام، بغض النظر عن انتمائه، عوقب بطريقة أو بأخرى".

محاولات إعادة الترميم

ساعدت القوات الإيرانية نظام الأسد في ارتكاب هذه الجرائم، لكنها ما زالت تريد إعادة بناء المحور، فعلى مدى السنتين الماضيتين، التقى زعيم حزب الله حسن نصرالله بقادة حماس عدة مرات.

كما أدلى بعض هؤلاء القادة بملاحظات تصالحية حول سخاء سوريا السابق، والتي منحت اللاجئين نفس المكانة التي يتمتع بها مواطنوها تقريبا، رغم أن هذا القرار سبق النظام البعثي.

مثلث الشر

كما زار وفد من حماس دمشق في 2019 والتقى بمسؤولين في النظام، لكنه لم يجن ثمار ذلك.

> **لم يفلح حزب الله وبدعم من إيران في ترميم العلاقة بين النظام السوري وحماس لرأب الصدع بين الحلفاء السابقين**

وبينما كانت إيران تتعرض لحملة العقوبات، التي فرضها الرئيس الأميركي دونالد ترامب، وقّعت الإمارات وثلاث دول عربية أخرى اتفاقيات تطبيع مع إسرائيل.

ومثّل ذلك دافعا إضافيا لإيران وحزب الله لمواصلة بذل الجهود لإحياء المحور المفكك. ولم يبد نصرالله متفائلا، في مقابلة أجراها في أواخر ديسمبر 2020. وقال "يجب استعادة هذه العلاقة، لكن الأمر سيستغرق بعض الوقت".

وربما سالت الكثير من الدماء بين الأسد وحماس مما يقوّض إصلاح العلاقات في الوقت الحاضر، إذ كان النظام السوري غاضبا عندما تجاهلته حماس، وهي جماعة دعمها على حساب منظمة التحرير الفلسطينية منذ ثمانينات القرن الماضي.

الولايات المتحدة تحاول استعادة قوتها في عالم متغير

لندن - ينشغل الباحثون السياسيون بمناقشات مستفيضة حول ما إذا كانت الولايات المتحدة مستعدة اليوم لمواجهة مجموعة من التهديدات والتحديات متعددة الأبعاد في عالم متغير، بعد أربعة أعوام من الترقب والتساؤل حول ما إذا كانت واشنطن، قد تخلت بصورة دائمة عن دورها كدولة قائدة للعالم.

وخلال فترة الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب شهد العالم عددا كبيرا من التحولات الاستراتيجية والجيوسياسية، وقد سعت إدارة بايدن مبكرا إلى استعادة مكانة الولايات المتحدة كقوة عالمية من خلال إعادة التفكير في الأمن القومي الأميركي.

ورغم أن الولايات المتحدة نفسها تغيرت، فإن ليزلي فينجاموري عميدة أكاديمية الملكة إليزابيث الثانية للقيادة في الشؤون الدولية التابعة للمعهد الملكي للشؤون الدولية (تشاتام هاوس) ترى أن الرئيس جو بايدن قد يستطيع إعادة إدخال بلده في الدبلوماسية الدولية ومعالجة الانقسامات، لكن إعادة البلاد إلى وضعها السابق سيكون أمرا صعبا.

وأعاد بايدن بلده في الشهر الأول من رئاسته إلى اتفاقية باريس للمناخ ومنظمة الصحة العالمية، والانضمام إلى مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة – رغم أن ذلك في وضع أقل، وهو وضع مراقب حتى الانتخابات المقبلة – وأنهى الحظر المفروض على السفر بالنسبة إلى الدول ذات الأغلبية المسلمة.

وتتعامل الولايات المتحدة حاليا مع المطالب الخاصة باللجوء، والسماح لطالبي اللجوء بعبور الحدود الجنوبية، بينما تعهد بايدن أيضا بالمساهمة بمليارى دولار لدعم مبادرة كوفاكس، التي تشرف عليها منظمة الصحة العالمية لمكافحة جائحة كورونا.

كما سعى بايدن إلى تبديد فكرة تضارب المواقف الأميركية تجاه حلفائها الأوروبيين. وإعلانه بحزم عن التزام الولايات المتحدة بالمادة الخامسة من معاهدة حلف الأطلسي (ناتو)، التي تعتبر أساس الشراكة عبر الأطلسي، الذي استعاد مادة مهمة اعترف بها ترامب مؤخرا ومن دون حماس.

وتقول فينجاموري إن الأعوام الأربعة الماضية شهدت اضطرابا تجاه حلف الناتو، وبالتالي فإن خطوة بايدن ضرورية لإصلاح الشراكة عبر الأطلنطي.

وترى أنه ينبغي أن يكون موقف بايدن المتشدد تجاه التجاوزات الروسية بالنسبة إلى السيادة والديمقراطية في الداخل والخارج على السواء، إعادة طمأنة للكثير من الأوروبيين والكثير من الأميركيين.

فطوال أربعة أعوام كان الكثيرون يعتبرون ترامب شخصا غريبا، فقد كان رئيسا على خلاف مع الأغلبية في الولايات المتحدة، وفي حزبه، وفي أوروبا، واتخذ سياسة متشددة تجاه روسيا وتمنى أن يحذو بايدن حذوه.

ومع ذلك أصبح التناقض المحتمل الذي تتسم به السياسة الخارجية لإدارة بايدن واضحا للغاية. فالولايات المتحدة تعتزم اتباع سياسات تعترف بالحقيقتين المثيرتين للقلق اللتين تتسم بهما أكبر معضلات السياسة الخارجية في الوقت الحالي، الأولى، أن الديمقراطية تتعرض للاعتداء في الولايات المتحدة وفي أنحاء العالم وينبغي أن تكون في صدارة الدبلوماسية الدولية.

أما الحقيقة الثانية فتتعلق بالتعاون مع الدول الاستبدادية التي تنتهك الحقوق ليس فقط أمرا مهما، بل أيضا أساسيا في الاتفاق على الحلول الضرورية لتحقيق السلام الدائم.

وتعتقد فينجاموري أن الأعوام الأربعة المقبلة ستكون تجربة لرؤية ما إذا كان بوسع الولايات المتحدة النجاح في التعاون على سبيل المثال مع الصين بشأن المناخ ومع روسيا بشأن الحد من التسلح، بينما تستمر في استهجان اعتداءاتهما على الأعراف الديمقراطية.

وفي حالة روسيا، تتسم البوادر الأولية بالإيجابية، وكانت إحدى الخطوات الأولى لإدارة بايدن التفاوض على تمديد أجل معاهدة ستارت الجديدة للحد من الأسلحة النووية قبل موعد انتهائها في الرابع من فبراير الماضي.

ولكن هناك توقعا كبيرا آخرا وهو احتمال أن يعلن الاتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة، والمملكة المتحدة أيضا عقوبات بالتنسيق في ما بينهم تستهدف المسؤولين عن التعامل الوحشي مع المعارض الروسي أليكسي نافالني. وإذا ما تم ذلك، فإن رد موسكو سيوفر لمحة مبكرة عن التحديات التي تمثلها استراتيجيتها مزدوجة المسار. والخطوة التالية لاستعادة شراكة واشنطن المتوقفة عبر الأطلنطي تتمثل في كشف أنباء احتمال استئناف الولايات المتحدة وأوروبا المحادثات مع إيران.

وفي الحقيقة ليس من السهل التوصل إلى اتفاق يمكن أن يُكتب له النجاح، ولكن الحقيقة أن إدارة بايدن تبدي اهتمامها بالمضي قدما، والذي يعتبر مؤشرا آخرا على أن دور الولايات المتحدة في العالم وخاصة في أوروبا، تتم استعادته كما كان عليه قبل ترامب.

وترى فينجاموري أنه رغم هذه العودة السريعة للولايات المتحدة إلى المسرح الدولي، فما زال الأوروبيون يشعرون بالحذر إزاء قوتها الباقية، وهناك انقسام في الرأي بالنسبة إلى عودة واشنطن. فقد تكيف البعض في أوروبا مع عالم دون قيادة أميركية، ويصر آخرون على ضرورة أن ترسم أوروبا طريقها وهي مستقلة عن الولايات المتحدة .

وفي المقابل، يشعر الكثيرون بالارتياح لعودة الولايات المتحدة ولكنهم يشعرون بالخوف من عدم استمرار ذلك. ويعتقد بعض خبراء السياسة الخارجية الأميركية أن ترامب غير سياسة الولايات المتحدة الخارجية بشكل دائم.

ولأسباب متعددة، ليس من المحتمل أن تعني العودة السريعة إلى تعددية الأطراف وتبني القيم الديمقراطية ، رغم أنه مرحب بأن واشنطن عادت إلى ما اعتادت أن تكون عليه.

ما زالت الإدارة الجديدة مقيدة بالحقائق على أرض الواقع، وخاصة جائحة كورونا، كما أن استعادة الحياة اليومية العادية لن تكون أمرا سهلا في نطاق مجتمع مستقطب للغاية يتصارع حول الظلم العنصري وعدم المساواة، وكذلك الصراع داخل حزب جمهوري يهيمن عليه جناح يميني يواصل تبجيل ترامب ويرفض الثنائية الحزبية.

ليزلي فينجاموري

بايدن قد يعيد مكانة بلده خارجيا لكن داخليا يبدو الأمر صعبا

وتبذل إدارة بايدن جهودا لمواجهة هذه التحديات، ولاسيما من خلال شراء 200 مليون جرعة لقاح إضافية والدفع بخطة تتعلق بإغاثة بقيمة 1.9 تريليون دولار، لكن ترامب يواصل ممارسة نفوذ قوي على الحزب الجمهوري رغم هجمات الكابيتول وفشله في إدارة مواجهة الجائحة. وسوف تستمر محاولة اعتباره مسؤولا عنها في أن تكون عاملا في الحياة السياسية الأميركية لشهور كثيرة مقبلة.

وهناك أيضا واقع جديد في السياسة الدولية، ففي الوقت الذي انخفض فيه الوضع النسبي للولايات المتحدة في اقتصاد العالم، شهدت الصين نموا متزايدا، كما أن العالم خطا قدما بخطوات كبيرة في أبعاد متعددة.